



سمات التعبير وتأثيراته النفسية والأدبولوجية في شعر بكر بن حماد التيهرتي

فاطمة الزهراء قوادري عيشوش¹

Characteristics Of Expression and Its Psychological and Ideological Effects in The Poetry of Bakr Bin Hammad Al-Tahirti

Fatima Zohra Kouadri Aichouch

Abstract: This research aims to stand on the expressive characteristics in the poetry of "Bakr bin Hammad al-Tahirti" and to what is unique to its linguistic structure and to realize the suggestive dimensions that hide behind poetic patterns, and to try to reveal the uniqueness of the poet in using structures to express his inner contents, So that he employed his expressive images in a manner consistent with the poetic experience with intended connotations, hence the importance of this study in revealing the creative aspects in his linguistic structures, in search of the features of distinction in the composition charged with emotional turmoil, And examining the ways in which the artistic aesthetic is formed in it, and exploring the paths that combine to produce the literary significance. The research was based on specific problems that were our starting point in this study, and we worked to answer them, and they are: What is the role of poetic expression in manifesting the emotional and political meanings and connotations in the poetry of Bakkar bin Hammad?

Among the results that we seek to achieve is to reveal the relationship of the place to the poet's alienation, to identify the emotional connections that relate to his memory, and to show the effectiveness of textuality in expressing the poet's personal vision, and from it, to give his expression uniqueness and aesthetics. And to highlight the aesthetic features inherent in it, to formulate an artistic style that explodes his worries and raging emotions related to his reality.

Keywords: *features, expression, place, intertextuality.*

¹Dijilai Bounaama University of Khemis Miliana, Algeria, f.kouadriaichouch@univ-dbkm.dz



مقدمة:

يعد بكر بن حماد عبد الرحمان التيهارقي من بين أهم الشعراء في الدولة الرستمية (200-296) فهو أديب، وشاعر، عالم بالحديث ورجاله، فقيه، من أفاضل المغرب²، ففي فترة الخلافة العباسية "أخذ عن ابن مسدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجر، ولقي من الأدباء أمثال أبي تمام صاحب ديوان الحماسة ودعبل الخداعي وغيرهم من فطاحل الأدب العربي وكانت له مع هؤلاء مساجلات ومطارحات أدبية شعرية ونثرية"³، لما تميز به شعره بالأسلوب الرصين، ومهارة التشكيل اللغوي.

ومن هنا تبرز أهمية هذه الدراسة انطلاقاً من الكشف عن الجوانب الجمالية التي تميز شعر "بكر بن حماد"، واستكناه سماتها الفنية، وكانت الإشكالية محل الدراسة منطلقاً من تساؤل رئيسي يقضي بأنه إذا كان التعبير أحد ركائز الإبداع في بناء الشعر، فإن ذلك يستلزم أن يتسم بخصائص فاعلة في تشكيل الدلالة المؤثرة على المتلقي، وإذا تقرر ذلك فكيف أسهمت السمات التعبيرية في شعر بكر بن حماد في تعبير عن آماله وإحباطاته النفسية وقضاياها السياسية؟ وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، الذي يركز على التحليل النصي في مكاشفة الخصائص التعبيرية، ذلك أنه كان من الضروري لجهة ارتباطه بتحليل التراكيب اللغوية لما حاول استجلاء المعاني والدلالات، وهذا ما تطلبه موضوع البحث، لأنه يساهم في تحليل عناصر اللغة، وتتبع دلالاتها وأبعادها الوظيفية، والتي تقوى على سبر خصوصية التجربة الشعرية، والوقوف على سمات التعبيرات التي تميز شعر "بكر بن حماد".

² - صالح محمد صاح مسعود بكر بن حماد التيهارقي، حياته وآثاره، مجلة مدارات لعلوم الاجتماعية والانسانية المركز الجامعي غليزان، الجزائر، العدد 1، جانفي 2020، ص 52.

³ - المرجع نفسه، ص 53.



1. نسق المكان:

يمثل المكان معلما فنيا في الشّعر، حيث يحمل في ثناياه علامات دالة، " وتتحدد الكتابة الفنية بدقة كلية بالنسبة إلى النسق الذي يرسم ملامح المكان، إذ ليست المصادفة هي التي تحدد هذا المكان أو ذاك، وإنما اختيار المرسل/ القاص الواعي للمكان الذي يتناسب مع الحدث والفكرة والمضمون"⁴، من خلال " إدراك دلالة (المكان) وعلاقته العميقة مع (الإنسان) فالمكان منظومة أو نسق من العلامات تنتجها شفرة تتحدد مدلولها بالرجوع إلى نسق العلامات نفسها"⁵.

يجسد المكان مجمل العواطف المتمركزة في مخيلة المبدع، كونه يكشف عن تلك الرؤى والأحاسيس المنبعثة من أعماق الروح، لأجل التعبير عن همومه وآماله، باعتبار أن هذا "المكان كفضاء إقليمي يخترن دلالة ثقافية الفضاء كجسد تنصهر فيه مجموعة العادات والتقاليد"⁶، وتعلق الشّعراء بالمكان يعكس بصدق إحساسهم العميق، باعتباره جزء لا يتجزء من كينونة الإنسان. ولا غرو أن "الإنسان وليد بيئته،... الذي يصنع جزءا كبيرا من معالم شخصيته وسلوكه وثقافته فالمكان هو الإقليم الذي يعيش فيه البشر عيش قرار واستبطان أو يضطرب بين حدوده فتتأثر حياته الحسية والمعنوية بطبيعة هذا الإقليم وخواصه"⁷، وذلك ما يعكس فعالية المكان وقيمه الفنيّة.

فإنّ المكان لدى المبدع نابع من رؤاه النفسية والشّعورية، إذ "يتخذ الشّاعر من مظاهره أدوات فنية وتعبيرية لتعبير عن إحساسه بهذا المكان والزمان في طابعهما الفيزيائي وطابعهما الشعري الممزوج بالحس الانفعالي

⁴ - باسمه درمش، عتبات النص، مجلة علامات، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ج61، مج 16، جمادى الأولى 1428هـ/ مايو 2007م، ص 66.

⁵ - شيماء حاتم عبود، سعيد عبد الرضا التميمي، التشكيل السيميائي التواصل، ص 261.

⁶ - ليامين بن تومي، سميرة بن حبيلس، التفاعل بروكسييمي في السرد العربي، قراءة في دوائر القرب، دار الروافد الثقافية، ط1، بيروت لبنان، 2012م، ص 95.

⁷ - مغراوي فطمة، ألسنة النص الشعري في النقد المغربي المعاصر، أطروحة دكتوراه في النقد الأدبي القديم، إشراف: مختار حبار، جامعة وهران، كلية الآداب و الفنون، 2011/2012م، ص 11.



الذاتي والجماعي، المتموج بين الأنا والخلع، بين الوحشة والألفة بين الغربية⁸، والفقد، فاستطاع الشاعر من خلالها أن يصور الإحساس بالمكان الذي يعزز إحساسه بالانتماء، ويتبع ذلك رسائل يحاول إيصالها إلى المتلقي. وقد ضمن الشاعر " بكر بن حماد التيهري " في قصائده أمكنة مختلفة كان لها دور في تجسيد رؤيته الشعرية، بناء على غايات شعورية أسهمت في تشكيل أسلوبه اللغوي، وقد استخدم عدة أمكنة بصورها المتعددة ونذكر منها:

1.1 وصف المدينة:

يتوسل الشاعر بالمدينة للتعبير عن رواه وتصويراته المتنوعة، بحيث تنم عن خياله الخصب، "فلكل شاعر مدينة تحيا بأعماقه، وقد يكون لمجموعة من الشعراء مدينة واحدة اكتوى بنار عشقها، ثم حرمتهم ظروف الحياة من العيش تحت أكنافها وبين أحضانها، ثم ما يلبث نار الحرمان أن يسيل شعرا رقيقا تفيض بهم نفوسهم الشاعرة، الظمأة إلى الحياة الدافئة"⁹.

وقد تغنى بكر بن حماد بمدينة "تاهرت" عاصمة الرستميين تشبه بل وتقارن قرطبة وبغداد ودمشق وغيرها من عواصم الشرق اللامعة فكانت تدعى بعراق المغرب وبلخ المغرب¹⁰، وأيضا ووصفها في فصل الشتاء بما يتناسب، والسباقات المعيرة عن مشاعر التعلق، ووردت في تركيب انزياحي يحاكي الأحداث بقوله:

ما أخشى البرد وربعانه وأطرف الشمس بتاهرت

تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنها تنشر من تحت

نحن في بحر بلا لجة تجري بنا الرياح على السم¹¹.

8 - المرجع نفسه، ص 12.

9 - عبد القادر شريط، فن رثاء المدن في الشعر المغربي القديم، حتى نهاية القرن الخامس هجري، إشراف محمد الأخضر زاوي، مذكرة ماجستير في الأدب المغربي القديم، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2006/2005م، ص 32.

10 - صالح محمد، صاح مسعود، بكر بن حماد التاهري، حياته وآثاره، ص 52.

11 - بكر بن حماد، الديوان، ص 61.



جاءت "تاهرت" في هذا المقطع الشعري تعبيراً عن مرحلة النماء التي عرفتها هذه المدينة، إذ صور لنا الشّاعر البحر الهادئ، وهو ما أضافه بقوله (بحر بلا لجة) فالشمس في الشتاء بمدينة تاهرت تسمو بالشّاعر إلى آفاق التجلي والاحتواء، وتذوقه الشوق والصبابة التي أكتوى بجمرة الحنين إليها. تشتغل الأمكنة على الوظيفة الجمالية لما تحمله من طاقات إيجابية، حيث "يتجاوز المكان في الخطاب الأدبي حدوده الاصطلاحية المحددة، ضمن إطار مادي معين إلى الأبعاد الداخلية ذات السمات النفسية المرتبطة بمشاعر الألفة والتجانس أو الوحشة والغربة والتناقض، إذ يعبر المكان عن حالات نفسية بدلالات رمزية عديدة، ليصبح هوية فارقة يمتاز بها الكائن و يبلغ الاندغام حدود التماهي والانصهار بين المكان والكائن"¹²، وذلك من خلال الانسجام معه، ومحاولة التعبير عن خلجات الذات.

وفي هذا السياق، جاء اختيار الصورة مع المدينة أبلغ في تصوير المشاعر القوية، من خلال قوله (تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنها تنشر من تحت) ومن هنا فالشّاعر يعبر عن ذكرياته المتدفقة حينها، ولا يخلو هذا التصوير البياني من دلالات ترتبط بالجمال الساحر، فهذه "صفات إنسانية أسقطها الشاعر على مظاهر الطبيعة الحسية مستغلاً شاعرية الألفاظ ودلالاتها"¹³، في ثوب كساها أبهة، حيث استثار لها الشاعر من أقاصي المكان وأفئدته الصبابة لها، فكان منسجماً مع مشاعر الحسرة، بسبب الحب الذي يكنّه لمدينته.

فالشّاعر "يختار من تجاربه صورة تعبر عن هذه الفكرة، فيسعه خياله بتركيب الصورة المادية"¹⁴، حيث "يستكشف بها تجربته الخاصة، فضلاً عن أنها تنبع من حاجة الشاعر الداخلية إلى التعبير عن مشاعره وانفعالاته"¹⁵، إذ تمنح المبدع القدرة على الكشف عن مكوناته الشعورية.

12 - باسمه درمش، عتبات النص، مجلة علامات، المركز الثقافي بجددة، السعودية، ج16، جمادى الأولى 1428 / مايو 2007، ص 64.

13 - بسام إسماعيل عبد القادر صيام، التشكيل الحسي في شعر الطبيعة العباسي في القرن الثالث هجري، إشراف عبد الخالق محمد العف، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، كلية الآداب الجامعة الإسلامية، غزة، 2017، ص 18.

14 - عبد القادر أبو شريفة، حسين لاني فزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 40.

15 - جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ص 331.

2.1 رثاء المدينة:

فجّر المكان طاقات إيجابية كان لها القدرة على توصيل إحساس الشّاعر إلى المتلقي، ذلك أنّ "دراسة علاقة الإنسان بمدينة وهي علاقة حميمة، من شأنها أن تزيد في إضاءة الدلالات الفنية والحضارية بما يعين على الإطلاع على تاريخ أدبي متألق للذات الوطنية"¹⁶، لتحمل في طياتها إبداعاً، وتسلم عنانها لمشاعر تسايرها الدهور، وتعايش العصور غيظاً وكمداً على سقوط أجمل البلدان.

وهو ما نجده في رثاء مدينة تاهرت بعد أن خربها الفاطميون، حيث ساهمت صورة المنازل في التعبير عن حالة القلق والكآبة التي يحسها الشّاعر بقوله:

زرنا منازل قوم لم يزوروا إنا لفي غفلة عما يقاسونا
لو ينطقون لقالوا: الزاد، و يحكم حل الرحيل فما يرجو المقيمون؟
الموت أجحف بالدنيا فخرّبها وفعلنا فعل قوم لا يموتون
فالآن فابكوا فقد حق البكاء لكم فالحاملون لعرش الله باكونا"¹⁷

بثّ المكان (المنازل) مساحة عبّر فيها الشّاعر عن ألمه وأساه نتيجة الانقباض الشعوري، إذ يجسد إحساس الشّاعر الغامر بالألم، باعتبار أنّ المنزل "واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية.. فبدون البيت يصبح الإنسان مفتتاً إنه البيت يحفظه عبر عواصف السماء وأهوال الأرض"¹⁸، ونستشف من هذه الأسطر الشعرية أن الشّاعر يساءل المنازل، بما تفصحه من دلالات مكونة مضمونها السكن فيها ثم يأتي وقت الرحيل.

¹⁶ - عبد القادر شريط، فن رثاء المدن، ص 33.

¹⁷ - بكر بن حماد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التيهري، المطبعة العلوية بمستغانم، ط1، الجزائر، 1966، ص90.

¹⁸ - غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2 بيروت، لبنان،

1404هـ/1984م، ص 38.



يظهر الشّاعر في هذا البيت متألماً، واختار المكان ليَهتدي به في تفرّيق مشاعره وأحاسيسه الكئيبة، فمن خلاله يحاول أنّ يعبّر عن مآسيه وأحزانه، فيأتي للتعبير عن حالة الوهن والضعف الذي يشع في كل جانب من جوانب حياته، بحيث "يتحكم غرض الشعر ونفسية الشاعر في وظيفة المكان، فيصبح عنصراً مهماً وعاملاً من عوامل نشأة الشعر وصقل لغته وإثراء معانيه ويتخذ الشاعر من مظاهره أدوات فنية وتعبيرية للتعبير عن إحساسه بهذا المكان والزمان في طابعهما الفزيائي وطابعهما الشعري الممزوج بالحس الانفعالي الذاتي والجماعي، المتزوج بين الأنس والحلم، بين الوحشة والألفة"¹⁹.

والتعبير بالضمير "نحن" يراد به التعبير عن مرارة الإحساس الجماعي، ذلك "أنّ الشّاعر لسان قومه وحافظة ديوانهم الذين يسطرون فيه تاريخهم ومفاخرهم"²⁰، بحيث يمثل الطفل ذاكرة حية للمجتمع، فمن "البدهي أن الإنسان لا يرث في المكان ما يمثل من ظرف فقط، بل يرث أيضاً هذا التاريخ الذي يلفه، ولا تتساوى في هذا الإرث كل أقسام المكان بل تتفاوت وتتفاضل على أساس ما اضطلعت به من مهمات وما شهدته من أحداث تختلف قدراً وقيمة"²¹.

نلاحظ أنّ الشّاعر قد اختار التّحول من حالة الحنين (شتاء تاهرت) إلى حالة الضياع (سقوط المدينة)، إذ يجسد المكان إحساسه المتناقض الذي يتراوح بين الارتياح والبوح، وبين الأنياب والاستسلام، ممّا يعبّر عن عمق التجربة التي يتداخل فيها كل ما هو انفعالي مع التّعبير الفني. ويمكن القول أنّ المدينة تحمل بعداً دلالياً من خلال التّعبير عن معانٍ جديدة مستمدّة من السّياق الشعري، سعياً للكشف عن الدور الذي تؤديه الأمكنة في تجسيد الانفعالات، بما تتضمنه من أحاسيس عاونت في تعبيرها عن الحالة النفسية بلسان شخصه ومكانه، ولذلك نجد أنّ المدينة قد ضمت انفعالات مقترنة بالتأثيرات النفسية والاجتماعية المحيطة بالشّاعر.

19 - مغراوي فاطمة، ألسنة النص الشعري، ص 12.

20 - عبد القادر فيدوح، دلالية النص الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، وهران، الجزائر، 1993، ص 45.

21 - عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية، الصورة و الدلالة، دار محمد علي للنشر، ط1، تونس، 2003، ص 133.

3.1 الطلل:

يرتبط الطلل بالفقدان ارتباطاً وثيقاً، بناءً على ما ينسجم وخصوصية التجربة، "فالسؤال الطلّول في الشعر يكون بخطاب الطلّول، ويكون باستدعاء الصّحب للوقوف والسؤال، أو باستبكاء الصّحب على الطلل"²²، ذلك أنّ "صورة الأطلال والأماكن الخالية هي أشبع الصور التي تبقى عالقة في الذهن، وتظل تتكلم بها بعين مفعوجة، تستعيدها وتجسدها، وتعايشها، لا سيما إذا كانت تلك العصور تزيد في الفاجعة"²³.
اعتمد الشعراء على أمكنة دالة ومؤثرة، فمثلت مرتكزاً مهماً من مرتكزات التصوير في شعرهم، إذ "تعد لوحة الطلل في الشعر الجاهلي أبرز معلم في تجسدت فيه إحساس العربي المهموم بحس المكان والزمان والمرأة، على اعتبار أن هذه الأسس الجمالية الثلاثة هي المكون الأساسي للوحة الطللية الجاهلية لما تحمله من أبعاد جمالية ورؤى معرفية تجسدت في رؤيته"²⁴.

ويتم التواصل بين الشاعر والطلل من خلال الموازة بين عناصر الطبيعة والمشاعر الإنسانيّة التي تتجسد في البوح، باعتبار أنّ "معاناة الشاعر في المقدمة الطللية معاناة حقيقية في بعض جوانبها، هي انعكاس للصراع المرير مع الوجود، مع الزمن، مع هذا المكان المتمرد... فالمكان الطللي يحمل بعداً نفسياً داخل النص وداخل الصورة الشعرية إلى جانب وظائفه الفنية، وأبعاده الاجتماعية والتاريخية المرتبطة به خاصة في سياقاته المرجعية"²⁵.

يقول بكر بن حماد :

قف بالقبور فناد الهامدين بما من أعظم ما بليت فيها و أجساد
قوم تقطعت الأسباب بينهم من الوصال و صاروا تحت اطواد

22 - شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة مبارك العامة، ط2، مصر، 1992 ص 24.

23 - عبد القادر شريط، فن رثاء المدن، ص 53.

24 - التشكيل السيميائي التواصلية و أثره في لوحات الصراع المكان أنموذجاً، شيماء حاتم عبود، سعيد عبد الرضا التميمي، مجلة

ديالي، العدد 78، 2018م، ص 251.

25 - المرجع السابق، مغراوي فطمة ص 25.



راحوا جميعا على الأقدام وابتكروا فن يروحوا ولن يغدو هم غاد

والله و ردوا ولو نطقوا إذا لقالوا : التقى من أفضل الزاد²⁶

يجسد منظر القبور الموت الذي يقابل الحياة ومتاعها، فالشاعر

"يقرن الحياة بالموت إذ كل امرئ لا بد ميت طال به لزمان أو قصر وليس من خلود أو ثبات أبدا ويستوي في ذلك الإنسان وغيره من الأشياء المحيطة به، حتى للحضارات أعمارا كأعمار الإنسان،.. فالهدم قرين البناء، والزوال قرين الكينونة، و لذلك كثر التفجع على الموتى وعلى خراب الأشياء والمدن والممالك،"²⁷

ولذلك لا بد لنا أن نتذكر على الدوام أنه "إذا كان التغيير قرين الحياة فلا بد إذن أن لا نياس من الثبات في كل شيء فلا المكان الذي ينشأ فيه المرء باق على حاله، ولا الصدقات التي تعقد أو اصرها منذ الطفولة دائما كما هي²⁸. فقد أوعز للمتلقي من خلال اختيار الشاعر هذه الصورة الطللية إدراك حقائق حول الوجود والفناء، والشاعر - بحكم ذلك - قدّم لنا الجمالية الحاصلة في صورته الإيجابية، وهذا يعكس لنا وعيه في توظيفه لها، وإبراز حذقه في استدعائها في النسق الشعري.

يمثل تواتر الصائت الطويل (الواو) * مرحلة انتقالية يتحول فيها الصوت من الساكن إلى اللين، وانتقال اللسان من موضع إلى موضع آخر، ويتفق هذا مع دلالة انتقال اللصوص من المراتب الدنيا إلى المراتب العليا، وبهذا دلّ صائت (الواو) على " الانفعال المؤثر في الظواهر"²⁹، ولذلك "يعيدنا إلى أفكار يونج عن اللا شعور الجمعي فمن خلالها فقط يمكن تفسير ذلك التكرار الذي نجده في لوحات الطلل، فالنمطية والتكرار في الألفاظ

26 - المرجع السابق، بكر بن حماد، ص 80.

27 - لؤي علي خليل، الدهر في الشعر الأندلسي، دراسة في حركية المعنى، دار الكتب الوطنية، ط1، أبو ظبي، 2010، ص 130.

28 - المرجع نفسه، ص 133.

* تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنوع من الضمة ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى، وتضم الشفتان ويسد الطريق إلى

الأنف برفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان": كمال بشر، علم الأصوات ص 369.

29 - سكينه يوسف محميد الرواشدة، أثر أصوات التفخيم، ص 134.



والصور تعود إلى ترسبات فكرية في اللاشعور الجمعي لدى الشعراء، فانعكست على نتاجهم الشعري الفني الذي يتناول حياتهم³⁰.

يجسد الطلل صراعا بين "النقيضين الفناء والحياة في الموقف الواحد، وارتباط احدهما بالآخر إلا تأكيد لإحساس الشاعر بالصراع ما بين العالم الخارجي المتمثل بالطلل، والعالم الداخلي المتمثل بذكريات الحب والأهل، بيد أن هذا الصراع هو الذي يكون سر حياة الإنسان في حد ذاته، وهذه الثنائية تحمل الوظيفة الأساسية للتواصل في نقل مشاعر الإنسان"³¹.

ويؤدي الطلل في شعر "بكر بن حماد" مأخذا فنيا له علاقة بمقاصده الشعريّة بما يحمله من معان دالة في السياق النصّي، إذ يشير إلى الفناء والزوال، "كأنّ التغير قدر الإنسان الذي لا مفر منه لا تكاد عواطفه تتعلق بشيء وتألّف روحه حتى يحوجه القضاء إلى الفراق"³²، وهو مرحلة التحول من مكانية الحياة إلى مكانية الموت، بحيث "تكون القصيدة منبثقة عن الإحساس بتجربة الفقد، وتكون الأطلال ناقوسا ينذر بالخطر، والشاعر أكثر إحساسا بالمعاني فكيف لا يحس بالأشياء الحادة كالأطلال"³³، وما يطرحه من قضايا معقدة تحيل على معاناة الذات الفردية.

ويفضي بنا هذا الطرح إلى أنّ "هذه الأطلال ليست آية واحدة تذكر بالرحيل، وإنما هي آيات متتاليات فيها من الأشياء الصغيرة ما يذكر بالحياة الذاهبة"³⁴، لتتنزل بموجبها "حضور للعالم الطللي بعلاقاته وأخلاقياته والالتفاف إلى عمق هذه العلاقات والأخلاقيات التي تنشأ بين المكان وبين مختلف المعاني وحضور ذلك كله كفضاء داخل النص الشعري"³⁵.

30- محمد ناجح محمد حسن، الإبداع و التلقي في الشعر الجاهلي، إشراف: إحسان الديك، ماجستير في اللغة العربية، نابلس فلسطين، 2004، ص 132.

31 - شيماء حاتم عبود، سعيد عبد الرضا التميمي، ص 251.

32 - لؤي علي خليل، الدهر في الشعر الأندلسي، ص 133.

33 - عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، ط4، عمان، الأردن، 2008، ص 96.

34 - المرجع السابق، عبد القادر فيدوح، ص 96.

35 - المرجع السابق، مغراوي فاطمة ص 31.

وقد جاء الظلل في النسق الشعري متلائماً مع الحالة الشعورية من خلال رغبة الشاعر في تصوير الجانب الخفي من إحساسه، حيث امتزج مع وجدانه، بأنّ مَنْحِه دلالة (التذكر والاعتبار) لمشاعره، في صورة شعرية راقية.

2. التناسق القرآني:

يعدّ التناسق مصطلحاً نقدياً حديثاً، وكان العالم الروسي ميخائيل باختين M BKHTINE "هو الذي أسّس مصطلح (التناسق)³⁶، وحددت جوليا كريستيفا مفهوماً للتناسق بقولها: "إننا نعرف النص على أنّه جهاز عبّر - لسانيّ قادر على إعادة توزيع نظام اللغة جاعلاً الكلمة المبلّغة التي تسعى إلى بثّ المعلومة في علاقة حميمة، مع اختلاف أنماط الكلام"³⁷.

فالتناسق فضاء واسع تتفاعل فيه عدة نصوص سابقة مع نصوص لاحقة، "فيقوم التناسق بممارسة سمائيّة، حينما يحيل النصّ إلى فضاء نصّي، يتم فيه تداخل الملفوظات بعضها مع بعضها الآخر، وتفاعلها مع إحالاتها الخارجية التي تسميها كريستيفا أيديولوجيم* Ideologim الذي يعني الوظيفة التي تستقي مدلولاتها من المعطيات التاريخية والاجتماعية، لتتجسد في مستويات البنية النصية المختلفة"³⁸؛ أي أنّ هذا التفاعل يأتي "ضمن الإنتاجيّة التناسقية، بمعنى أنّه مرتبط عندنا بالنصّ المولّد الذي يهتم بالكيفية التي يتم بها تولد النصوص وخلقها وفق عمل منبني على بناء سابق أو مسبق"³⁹.

36 - عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط2، 2010م، ص 273.

37 - المرجع نفسه، ص 277.

* الأيديولوجيم مصطلح أوجده كريستيفا، وهو مصطلح يرتبط بالتناسق، حيث إنه إجراء سمائي ووظيفة نصية، يتجسد في مستويات بنائية متعددة على مستويات النص، ويقترن بالإحالات الثقافية والأنساق السوسولوجية والوقائع التاريخية: "خولة محمد عبد المجيد الوادي، التناسق السمائي، القصة القصيرة الفلسطينية أمودجا، أطروحة الدكتوراه إشراف: صلاح محمد جرار، الجامعة الأردنية، الأردن، 2007م، ص 17.

38 - المرجع نفسه، ص 18/17.

39 - عبد القادر بقشي، التناسق في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007م، ص 19.



تنّاص شعر "بكر بن حماد" مع عدة نصّوص أخرى، وجاء الاختيار منها على أساس التعبير عن التجربة الشعريّة التي تنسجم مع مواقفه المتنوعة، بما يميّز به من خصائص تعبيرية تقوى على مكاشفة خبايا النفس وأسرارها الباطنية، وتمثلت مظاهره على نحو الآتي:

1.2 التنّاص مع القصة القرآنية:

يقصد بها أن يستحضر الشاعر قصصاً من القرآن الكريم، "ويوظّفها في سياقات النّص الشعري، ليعمق بذلك رؤية معاصرة يراها في الموضوع الذي يطرحه، مما يثري النصّ فنياً وفكرياً"⁴⁰. وتكمن أهمية توظيف الشاعر للنّص القرآني على النحو الآتي:

- " يجذر انتماءه للأرض العربية.
- يعلن رفضه للسقوط السياسي الحضاري"⁴¹.
- التعبير عن الواقع وإبراز التناقضات والتجاوزات.
- الكشف عن المصير الواحد للطغيان.

2.2 مظاهر التنّاص في شعر "بكر بن حماد":

تنّاص شعر "بكر بن حماد" مع القرآن في مواضع عدة لها علاقة بأغراضه الشعريّة، أهمها القصة القرآنيّة، التي تهتم بسرد "أعلام أديان سبقت الإسلام غير أن القرآن هو الذي قص أخبارها في أكمل الصور لا لغاية التاريخ المجرد، وإنما لغاية الدعوة إلى الاعتبار، وتركيز الدين الجديد، فهي من ثم فاقدة قيمتها التاريخية لفائدة القيمة الدينية، ثم إن القرآن علاوة على احتضانه إياها فإنه يقرّها ويتبنى ما تولّد عنها وعن أحداثها ولكنه يكتملها تكميلاً"⁴².

40 - محمد سليمان، ظواهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان، ص 130.

41- سعيد أراق، قصيدة النثر في ضوء الحداثة، نحو اللانمط أو مسار إلغاء التغيرات، مجلة علامات، المركز الأدبي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية، ج 71، مع 18، ذو القعدة 1431هـ نوفمبر 2010م، ص 140.

42- محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات جامعة تونس، تونس، المجلد 20، 1981م ص 190/189.



تتصل القصة بأحداث مترابطة مع تجارب المبدع، "فقد أحس الشعراء من قديم بأن ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم، وتجربة الأنبياء فكل من النبي، والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته، والفرق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية، وكل منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته"⁴³. وظف الشاعر شخصيات دينية مستمدة من الشريعة الإسلامية، بما يوافق رؤاه الإيديولوجية، ومن أمثلة ذلك في شعر "بكر بن حماد" ما جاء في قصيدة يهجو عمران بن حطان الخارجي الشاعر ويعارض قصيدته التي مدح بها عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، نحو قوله:

ذكرت قاتله والدمع منحدر	فقلت سبحان ربي الناس سبحان
أني لأحسبه ما كان من بشر	يخشى الميعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد إذا عدت قبائلها	وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي حلت	على ثمود بأرض الحجر خسرا ⁴⁴ .

تناص هذا المقطع الشعري مع قوله تعالى:

"فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ* فَأَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ* فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ."⁴⁵

وردت قصة ثمود* في هذا المقطع الشعري رمزا للبطش، والطغيان، ذلك إشارة إلى تجاوز حدود الله، وقوم ثمود علامة على القوم الذين غدروا وقتلوا النبيين، والنبي صالح علامة على الإمام علي رضي الله عنه، أما الناقة فهي

⁴³ - علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1417هـ/1997م، ص 77.

⁴⁴ - المرجع السابق، بكر بن حماد ص 64-65.

⁴⁵ - القرآن-7: 77-79

* "تكررت قصة ثمود في القرآن الكريم أكثر من موطن لأغراض مختلفة، وقوم ثمود هم بعد قوم عاد، كانوا يعبدون الأصنام مثلهم، وكانت حياتهم مترفة مرفهة، فعمروا الأرض التي يسكنونها، ونحتوا الجبال بيوتا، ووسع الله عليهم الرزق، فطغوا وبعث الله فيهم



علامة على الخيرات التي ضيعها هذا القوم، فالشاعر يعيد تفاصيل الواقعة، حيث استلهم قصة النبي (صالح عليه السلام) من النصّ الديني، من منطلق التشابه بينهما. وعليه، تشترك قصة ثمود مع حادثة مقتل الإمام علي، الأمر الذي استدعى من الشاعر انتقاءها حتى تؤدي غرضه لما يقصده من مواجهة نفس المصير، ونوضح العلاقة بينهما وفق المخطط الآتي- ومن هذا المخطط يتضح لنا التشابه بين قوم ثمود ومقتل الإمام علي رضي الله عنه في النقاط الآتية:

- انتهاك حدود الله: (عقر الناقة/ قوم النبي صالح) - (القتل/ الإمام علي بن أبي طالب).

- الاشتراك في المصير : غضب الله- الهلاك.

- التشابه في الأفعال: القتل، العصيان، سفك الدماء.

فالشاعر - هنا- استثمر دلالة القصة القرآنية، مسقطا لها على المشهد الدامي للأمة الإسلامية، المليء بالجرائم والآلام، فأضفى بذلك على خطابه الشعري صورة متكاملة الأبعاد يستشعرها المتلقي ويحس بها. يجسّد هذا التناص رؤية واقعية تتلاءم والبنية الشعري، من خلال تمثيلها للحادثة التاريخية المرتبطة بمقتل الإمام علي، وما رافقها من قمع وقتل واضطهاد، بهدف الوصول إلى السلطة والحكم، مما يدفع الأمة العربية نحو الفضاء المجهول في مقبرة المآسي. وأيضا قصيدة يهجو فيها الخليفة المعتصم العباسي على لسان دعبل الخزاعي بقوله:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة

خيارا إذا عدوا وثامنهم كلب⁴⁶

رجلا منهم هو النبي صالح (ع) يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فأمنت طائفة، وكفر جمهورهم، وهما يقتله وقتل الناقة، التي جعلها الله حجة عليهم، فأهلكهم الله لجنودهم وكفرهم": انتصار عبد الحسين، أثر القرآن الكريم في شعر الفرزدق، مذكرة ماجستير، إشراف: حاكم حبيب الكريطي، جامعة الكوفة، مجلس كلية البنات للتربية، العراق، 2012م ص 83.

46 - المرجع السابق، بكر بن حماد، ص 68.

تناص هذا المقطع مع قوله تعالى:

"سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۗ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَتَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۗ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا"⁴⁷

ففي هاته الأبيات، شبه الشاعر الخلفاء العباسيين بأهل الكهف في إيمانهم وتقواهم، وشبه الخليفة المعتصم بالكلب، وسبب ذلك "أنه أول من مكن الأتراك من الدولة العباسية مستبدلاً بهم العرب والفرس معا فكان لعمله هذا خطر على الدولة ظهر فيما بعد"⁴⁸.

تمثّل شخصية (الخليفة المعتصم) مصدرا للفخر والاعتزاز، كان لها تأثير في التاريخ المكلل بالانتصارات والانجازات، فاهجاء هنا من منطلق الخيبات السياسية التي قام بها في زمانه، نتيجة انحرافات وانحطاط لحقت بالأمة العربية.

تبين القصة الدينية ملامح الظلم والتجبر والطغيان السائد في جسد الأمة العربية، وتحدد جمالية النمط التعبيري الذي يتكئ عليه هذا التناص من خلال قدرته الإيحائية الآسرة، "ليرى كيف تستغل القصة استغلالاً تمثيلاً لإقناع السامع، ودفعه إلى الفعل الاجتماعي الذي يتغياه مصلحو العصر"⁴⁹، وذلك "بفعل الممارسة التناصية التي تجري عمليات تحويلية للرؤى والمواقف، ووجهات النظر ووقائع والظروف السياسية"⁵⁰، فالتناص أعطى لشاعر فسحة تسعفه في التعبير عن هموم الأمة العربية ومعالجة القضايا التي تؤرقها، ومحاولة رصد معاناتها وانتكاساتها.

⁴⁷ القرآن-18:22

⁴⁸ - المرجع نفسه، ص 68.

⁴⁹ - جابر عصفور، استعادة الماضي، دراسات في شعر النهضة، دار المدى للثقافة والنشر، ط2 دمشق، سوريا، 2002م، ص 250.

⁵⁰ - خولة محمد عبد المجيد الوادي، التناص السميائي، ص 76.



فالتناص مع القصة القرآنية في شعر "بكر بن حماد" يبرز لنا النزعة الإيديولوجية التي ينتمي إليه الشاعر، التي تتمثل في الدفاع عن قداسة الأمة العربية، والحفاظ على جسدها من الاغتصاب، وعليه يستمد الشاعر أيديولوجيته من الشرعية الدينية التي تنطوي على العقاب لكل معتد ظالم.

خاتمة:

- ولعل أهم النتائج التي أفرزها هذا البحث يمكن إجمالها على نحو الآتي:
- ساهم المكان في شعر "بكر بن حماد" في التعبير عن ذاته، حيث جاءت غنية بالإيحاءات في إطار سياق أسلوبى خاص.
 - تضمن الطلل دلالات قامت على التحول.
 - أحدث المدينة أثرا نفسيا، فقد جاءت متعلقة بالهموم الداخلية لدى الشاعر.
 - وظف الشاعر المكان ليستغل إمكانات التقابل على مستوى البنية العميقة (الحياة/الموت)، ذلك لإبراز قسوة الحياة ومعاناتها المستمرة.
 - ورد الرثاء متلائما مع حالة الحزن، إذ عبّر عن حالاته النفسية المتألّمة لسقوط مدينة (تيهارة).
 - يعدّ التناص مع القرآن الكريم رافدا من روافد التعبير لدى "بكر بن حماد"، وجاء في شعره تعبيرا عن هموم الأمة العربية.
 - إنّ تميّز التعبير الشعري وخصوصيته تنبع من مهارة الشاعر "بكر بن حماد التيهري" في توظيف مفردات اللغة، وتشكيلها في سياقات خاصة بها.
- وبناء على ما تقدم، يتسّق النمط التعبيري مع التجارب الشعورية والنفسية في "شعر بكر بن حماد"، لتكشف عن براعة التشكل اللغوي والتركيبي في شعره، ومهارته في توظيف الصور الفنية، حيث انتهج أسلوبا متفردا مشحونا بالدلالات في تراكيبه اللغوية، وتكمن دلالتها في مكاشفة هموم العصر، ومعالجة كل مظاهر الإحباط في حاضره.



Bibliography:

Qur'an

1. Abd al-Malik Murtad, 2010 Theory of the Literary Text, Dar Huma for Printing and Publishing, Algeria, 2nd edition.
2. Abd al-Qadir Abu Sharifa, Hussein Lafi Qazaq, 2008 An Introduction to Literary Text Analysis, Dar Al-Fikr, 4th edition, Amman, Jordan.
3. Abdel Samad Zayed, 2003 Place in the Arabic Novel, Image and Significance, Mohamed Ali Publishing House, 1st edition, Tunis.
4. Abdelkader charite, 2005/2006 The Art of Lamenting Cities in Ancient Maghreb Poetry, Until the End of the Fifth Century AH, Supervised by Muhammad Al-Akhdar Zawy, Master's Thesis in Ancient Moroccan Literature, University of Colonel Hajj Lakhdar, Batna, Algeria,
5. Abdul Qadir Buqashi, 2007 Intertextuality in Critical and Rhetorical Discourse, A Theoretical and Practical Study, East Africa, Morocco.
6. Abdul Qadir Faydouh, 1993 Semantics of the Literary Text, University Press Office, 1st edition, Oran, Algeria.
7. Ali Ashry Zayed, 1997 Summoning Heritage Figures in Contemporary Arabic Poetry, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, Egypt.
8. Bakr bin Hammad, 1966 Al-Durr Al-Waqqad from the poetry of Bakr bin Hammad Al-Tahirti, Al-Mataba' Al-Alawiyah in Mostaganem, 1st edition, Algeria.
9. Basema Darmash, Awwal 1428 AH / May 2007 Atabat Al-Nass, Al-Alamat Magazine, Makkah Al-Mukarramah, Saudi Arabia, Volume 61, Volume 16, Jumada Al-..
10. Bassam Ismail Abd al-Qadir Siam, 2017 Sensual Formation in the Abbasid Nature Poetry in the Third Century Hijri, supervised by Abd al-Khaliq Muhammad al-Af, PhD thesis in Arabic Language, Faculty of Arts, Islamic University, Gaza.
11. Gaston Bachelard, 1984 the aesthetics of the place, TR: Ghalib Helsa, University Corporation for Studies and Publishing, 2nd edition, Lebanon, 1404 AH/.
12. Intisar Abdel -Hussein, 2012 the impact of the Noble Qur'an on Al -Farazdaq Poetry, Master's Memorandum, Supervision: Holding Habib Al -Kariti, Al -Kufa University, Board of Girls College of Education, Iraq.



13. Jaber Asfour, 2002 Restoration of the Past, Studies in the Poetry of the Renaissance, Dar Al-Mada for Culture and Publishing, 2nd edition, Damascus, Syria.
14. Khawla Muhammad Abd al-Majid al-Wadi, 2007 semiotic intertextuality, the Palestinian short story as a model, doctoral thesis supervised by: Salah Muhammad Jarrar, University of Jordan, Jordan.
15. Liamin Ben Toumi, Samira Ben Habeels, 2012 Proximity Interaction in the Arabic Narration, Reading in Circles of Proximity, Dar Al Rawafid Al Thaqafia, 1st edition, Beirut, Lebanon.
16. Louay Ali Khalil, 2010 The Eternity in Andalusian Poetry, A Study in the Movement of Meaning, The National Books House, 1st floor, Abu Dhabi,
17. Maghrawi Fatima, 2011/2012. Tongues of the Poetic Text in Contemporary Maghreb Criticism, PhD thesis in Ancient Literary Criticism, Supervised by: Mokhtar Habbar, Oran University, Faculty of Arts and Arts,
18. Muhammad al-Hadi al-Tarabulsi, 1981 Characteristics of Style in Shawqiyyat, University of Tunis Publications, Tunisia, Volume 20.
19. Muhammad Najeh Muhammad Hassan, 2004 creativity and reception in pre-Islamic poetry, supervised by: Ihsan Al -Deek, MA in the Arabic Language, Nablus Palestine.
20. Saeed Arak, The Prose Poem in the Light of Modernity, Towards Non-Style or the Path of Abolition of Heterogeneity, Alamat Magazine, the Literary and Cultural Center in Jeddah, Saudi Arabia.
21. Salih Muhammad Sah Masoud Bakr B. Hammad Al-Taherti, 2020 his life and works, Madarat Journal for Social and Human Sciences, University Center, Relizane, Algeria, Issue 1, January.
22. Shaima Hatem Abboud, Saeed Abdel-Ridha Al-Tamimi, 2018 Communicative Semiotic Formation and its Impact on the Paintings of the Conflict Place as a Model, Diyala Magazine, Issue 78, AD.
23. Shukri Ayad, Introduction to Stylistics, Mubarak Public Library, 2nd